

الشيخ أكرم بركات

قافلة البشريّة

من سفينة نوح إلى دولة المهدي 



سلسلة على منبر القائم

بيت السراج
بيروت | لبنان

قافلة البشريّة

من سفينة نوح إلى دولة المهديّ



الكتاب: **قافلة البشريّة من سفينة نوح إلى دولة المهديّ** ﷺ

المؤلف: الشيخ أكرم بركات

الناشر: بيت السراج للثقافة والنشر

الطبعة الأولى: بيروت ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

جميع الحقوق محفوظة


قافلة البشريّة

من سفينة نوح إلى دولة المهديّ 

الشيخ أكرم بركات

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة على منبر القائم 

قضايا تلامس حاجة المجتمع
وتوضح برنامج سعادة الإنسان في
الدارين تناولها الشيخ أكرم بركات
على منبر مسجد القائم  في
الضاحية الجنوبية لبيروت ثم ألبها
ثوب الكلمات المكتوبة بين يديك
عسى أن تكون محلاً للقبول.

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيّدنا محمد ﷺ وآله الطيّبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله والمرسلين والشهداء والصديقين.

لفتني ما قرأته للإمام الخميني قُذْرِيّ حول شغفه بكتابة قصص الأنبياء، مع عدم توفر الفرصة لديه لذلك، فهو قُذْرِيّ لا بدّ أنّه كان يريد كتابتها بمنهج آخر يتواءم مع قراءته المنهجية لله والدين والإنسان، وأوقفني حديث مختصر لأحد العلماء الأعلام عن وجود مسار تدرّجيّ للأنبياء عبر التاريخ، ممّا دعاني أن أحاول رسم ذلك المسار بشكل علميّ مقبول، وكنت كلّما وجدت شاهداً حول ذلك المسار ألحقته بجملة من الأوراق التي احتفظت بها، إلى أن اكتملت صورة مخطّط للمجتمع الإنسانيّ عبّرت عنه بقافلة البشرية أو الإنسانيّة، وذلك للتعبير عن كون المخطّط لمجتمع متحرّك لا جامد، لكنّ هذه الصورة المكتملة في رسمها حوت نوعين من الأفكار، نوعاً حاز على الشاهد التحقيقيّ المُقنِع، ونوعاً

بقي في دائرة الاحتمال الظنيّ دون شاهد من النوع السابق. وقد قدّمت هذه الصورة في كلمة ألقيتها في مسجد القائم عليه السلام، ثمّ وسّعتها في ورشة علميّة، ثمّ ألبستها ثوب الكلمات ضمن «سلسلة على منبر القائم عليه السلام»، لتكون مادّة قابلة للتوسعة وزيادة التحقيق من قبل العلماء الأجلاء، سائلاً المولى تعالى القبول.

أكرم بركات

بيروت، مسجد القائم عليه السلام

سرّ الخلق

لماذا خلق الله العالم؟

إنّ الجواب ينبع من معرفة صفات الله تعالى التي منها الحكمة، وهي تعني وضع الشيء في موضعه المناسب. ومن المعلوم أنّ عدم وضعه كذلك ينشأ من صفات جلّت الذات المقدّسة عنها كالجهل والعجز والبخل، وكلّها مسلوّبة عنه عزّ وجلّ بالدليل العقليّ القطعيّ. وبما أنّ هذا العقل هو الذي أوصل إلى الاعتقاد بأنّه حكيم، فمنه ينبثق السؤال عن سرّ حكمته في إيجاد المخلوقات.

والجواب لا بدّ أن يتواءم مع سائر صفاته تعالى التي منها صفة الغنى وعدم الحاجة إلى أيّ شيء، وبالتالي فإنّ الحكمة من وجود الخلق لا بدّ أن ترجع إلى المخلوقات نفسها، أي لصالحها، طالما أنّ لا مصلحة ترجع إلى الله الغنيّ.

على هذا الأساس، فإنّ الإجابة عن سرّ الخلق قد يكمن في كلمة واحدة هي «الكمال»، فهو خلقها لأجل كمالها.

والكمال للمخلوقات يتحقّق بنوعين:

الأوّل: الكمال القهريّ، فالكواكب تتكامل في سيرها القهريّ،

إشعاعاً في الشمس، وإضاءةً في القمر، ودوراناً في الأرض، والملائكة تتكامل تسبيحاً وتقديساً، وعروجاً وتدييراً، والتربة تتكامل بذرةً، ثم نبتةً، ثم نطفةً، ثم بيضةً، ثم فرخاً، والفرخ يتكامل نسراً يحلّق في عنان السماء، وهكذا.

الثاني: الكمال الاختياري، ونموذجه الأرقى هو الإنسان الذي أراد الله تعالى من خلقه أن يتكامل في سيره بإرادته الاختيارية. وممّا لا شكّ فيه أنّ السير التكامليّ الاختياريّ هو أرقى من التكامل الاضطراريّ القهريّ.

والتكامل الإنسانيّ يتصوّر بشكل واضح في فرد الإنسان من خلال علاقته بالكمال المطلق، فكلّما اقترب منه كلّما ازداد تألقاً في كماله. وهذا الكمال يمكن تحقيقه في أيّ إنسان، مهما كانت الظروف التي يمرُّ بها والبيئة التي يعيش فيها، وكفى مثلاً صارخاً في هذا الأمر امرأة فرعون التي كانت سيّدة قصره، وقد وقف أمام إيمانها أمران أساسيان:

الأوّل: ترك رغد العيش ونعيمه.

الثاني: مواجهة العذاب من قبل فرعون الذي كان يستعبد الناس.

ومع الصعوبة البالغة في هذه البيئة أصرت أسية بنت مزاحم على موقف الإيمان والتزكية رغم أنّها مُدّت بين أربعة أوتاد في تعذيبها الشديد، ومع ذلك صمدت، فقدّمها الله تعالى نموذجاً بقوله تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

لذا لا يصحّ لأحد الإدّعاء بمنع مانع من السير في طريق كماله الفرديّ.

بعد هذا نسال:

هل الكمال الإنسانيّ يقتصر على كمال الفرد، أو أنّه يوجد كمال آخر يتعلّق بالقافلة الإنسانية؟

وبعبارة أخرى: هل هناك تقدير إلهيّ لمسيرة الناس بحيث ينتهي المجتمع الإنسانيّ إلى خاتمة لعلّها ذات صفة كمالية تتناسب مع حكمة الله تعالى؟

وبلغة أخرى: ما هي خلفيّة الإجابة الإلهيّة في الحوار الذي جرى بين الله تعالى والملائكة حينما سألته بلغة الاعتراض: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾^(٢)، فقال عزّ وجلّ لها: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)، فهل معنى ذلك أنّ الصفحات القادمة من تاريخ البشريّة ستختتم بنهاية بيضاء ناضرة بعد السواد الحالك؟

إنّ هذا السؤال بصيغه المتعدّدة هو محور البحث الآتي حول التقدير الإلهيّ لقافلة البشريّة.

(١) سورة التحريم، الآية ١١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٠.

(٣) المصدر نفسه.

هداة الكمال

هل يمكن للإنسان، وحده، أن يعرف الطريق التي يُحقّق بسلوكها كماله، دون الاستعانة بأيّ أمرٍ خارجٍ عن قدراته الذاتية؟
هل يستطيع الإنسان بفطرته وحواسّه وعقله أن يتعرّف على سبيل الكمال ليعرج من خلاله؟

إنّ التأمّل بقدرات الإنسان، وبطريق الكمال التي يجب أن يوائم فيها بين الروح والجسد، والفرد والمجتمع، والحياة كلّها بما فيها الدنيا وما بعدها، يوضح أنّه غير قادر على معرفة تلك الطريق، وعليه فقد أوجبتُ حكمةُ الله الذي خلق الإنسان لأجل سلوك طريق الكمال أن يوضح له معالم تلك الطريق، ويرشده إليها، وهذا ما يكون إمّا بالتلقين الإلهيّ للإنسان، وإمّا من خلال توسيط إنسان قد عرفه الله تعالى معالم تلك الطريق، وجعله سفيراً بينه وبين سائر عباده، وهو ما يُطلق عليه «النبّي».

الأنبياء

إذا أنبياء الله ﷺ هم سفراؤه إلى البشرية؛ ليوّجهوهم للسير في طريق كمالهم.

وفي هذا الإطار بعث الله تعالى مئة وأربعة وعشرين ألف نبي، ليؤدّوا هذه المهمة، حسب ما أكّده بعض الأحاديث النبوية، فقد ورد أنّ أبا ذرّ سأل النبي الأكرم ﷺ: يا رسول الله: كم النبيون؟ قال ﷺ: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي»^(١).

الأهداف المشتركة للأنبياء ﷺ

للأنبياء ﷺ جميعاً أهداف مشتركة يريدون للناس أن يصلوا إليها، منها ما يتعلق بالمعارف، ومنها ما يتعلق بتهديب النفس، ومنها ما يتعلق بالعمل الصالح، إلّا أنّ جميع هذه الأهداف ترجع إلى هدف سام بعث الأنبياء ﷺ لأجله، وتعتبر جميع تلك الأهداف جميعها مقدمة له، ألا وهو معرفة الناس بالله وبالعالم، وإراءة العالم كما هو، لا بالشكل الذي ندركه، ولأجل تحقيق هذا الهدف كان للأنبياء وظائف أساسيتان:

الأولى: إنقاذ الناس من أسر النفس، وأسر ذاتها.

والثانية: إنقاذ الناس والضعفاء من سلطة الظالمين^(٢).

بناءً على ما تقدّم، فإنّ المهام المتنوعة التي ستأتي للأنبياء - وقد تكون مدار التفاضل بينهم - إنّما هي بما زاد على هذه الأهداف المشتركة، كما أنّ ما سيأتي من تحديد وظيفي لبعض الأنبياء إنّما هو من باب التركيز في المهمة، لا من باب الانحصار فيها.

(١) الصدوق، محمّد، معاني الأخبار، تحقيق علي أكبر الغفاري، (لاط)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٧٩م، ص ٣٢٣.

(٢) أنظر: الإمام الخميني، روح الله، منهجية الثورة الإسلامية، إعداد ونشر مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، ط ٢، طهران، ٢٠٠٦م، ص ٤٨-٥١.

الرسل

إنَّ إرشاد الأنبياء ﷺ إلى طريق الكمال الإنساني لا بدَّ له من رسالة هي عبارة عن خارطة الطريق للوصول إلى الكمال، وقد خصَّ الله تعالى بعض أنبيائه بالرسالات الإلهية على أن يكون بقيَّة الأنبياء ﷺ في موقع الإرشاد والتوجيه إلى تلك الرسالات، وقد أطلق الله تعالى على الأنبياء الذين اختصَّهم بالرسالات مصطلح «الرسل» وهم الذين سأل عنهم أبو ذرَّ رسول الله ﷺ في الرواية السابقة: كم المرسلون منهم، قال ﷺ: «ثلاث مائة وثلاثة عشر جمًا غفيرًا»^(١).

أولو العزم

ومن بين أولئك الرسل اختصَّ الله تعالى خمسة منهم بمصطلح «أولي العزم» الذي أطلقه القرآن الكريم بقوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٢)، وعدَّهم رسول الله محمد ﷺ بقوله: «الأنبياء... منهم خمسة أولو العزم»^(٣). وحدد الإمام الباقر ﷺ أسماءهم بقوله: «أولو العزم من الرسل خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين»^(٤).

(١) الصدوق، محمد، معاني الأخبار، ص ٣٢٣.

(٢) سورة الأحقاف، الآية ٣٥.

(٣) الكليني، محمد، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط٤، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٥هـ، ج ١، ص ٢٢٤.

(٤) الصدوق، محمد، الخصال، تحقيق علي الغفاري، (لاط)، قم، جماعة المدرسين، ١٤٠٣هـ، ص ٣٠٠.

سرّ أولي العزم

عرفنا سابقاً الفارق بين الأنبياء عليهم السلام والرسل عليهم السلام، لكن ما هو الفارق بين أولي العزم وسائر الرسل؟

هل هو في العزم بمعناه المعروف الذي هو عقد القلب على إمضاء الأمر بإرادة صلبة قويّة^(١)؟ أو بمعنى الصبر^(٢)؟

أليس هذا المعنى موجوداً عند جميع الرسل؟ من المؤكّد أنّ المرسلين جميعهم من أولي العزم بهذين المعنيين. لذا لا بدّ من البحث عن معنى أعمق لأولّي العزم. ولمعرفة ذلك المعنى العميق نستعين بالنصوص المفسّرة لأولّي العزم عليهم السلام من الرسل، والتي طرحت ثلاثة تعليقات لسرّ تسميتهم بذلك، وهي:

١- أنّهم أصحاب الشرائع

ورد هذا التعليل في رواية عن الإمام الرضا عليه السلام: «إنّما سمّي أولو العزم؛ لأنّهم كانوا أصحاب الشرائع والعزائم»^(٣).

٢- أنّهم عالميون

ورد أنّه سئل الإمام الصادق عليه السلام عن معنى أولي العزم، فأجاب: «بُعِثُوا إِلَى شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا، جَنِّهَا وَإِنْسَهَا»^(٤).

(١) ابن منظور، محمّد، لسان العرب، (لا.ط)، بيروت، دار صادر، (لا.ت)، ج ١٢، ص ٢٩٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٠٠.

(٣) الحرّ العاملي، زين الدين، الفصول المهمّة في أصول الأئمة، تحقيق محمّد بن حسين القائيني، ط ١، قم، مؤسّسة معارف إسلامي، ١٤١٨ هـ، ج ١، ص ٤٢٨.

(٤) المفيد، محمّد، المزار، تحقيق محمّد باقر الأبطحي، ط ٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤ هـ، ص ٤٢.

٣- أنهم محاور حركة الإنسانية

وهذا التعليل ورد في رواية معتبرة عن الإمام الصادق عليه السلام: «سادة النبيين والمرسلين خمسة، وهم أولو العزم من الرسل، وعليهم دار الرحى: نوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء»^(١).

فقوله عليه السلام: «عليهم دار الرحى» يفيد أنهم المحور الأساس لحركة القافلة الإنسانية، فإن هذه القافلة بتاريخها ومستقبلها يمكن أن تقرأ من خلال الأحداث، كما يمكن أن تُقرأ من خلال أبطالها وأعدائهم. وقد عرض القرآن الكريم تاريخ البشرية من خلال الأنبياء عليهم السلام ومناوئهم، مركزاً على الرسل عليهم السلام منهم، إلا أن التأكيد كان على أولي العزم عليهم السلام من الرسل عليهم السلام باعتبار أن مراحلهم تمثل المحطات الأساسية من تاريخ البشرية.

وبما أن نوحاً عليه السلام هو الأول من أولي العزم، فهذا يعني أن المحطات الأساسية التي استعرضها القرآن الكريم تبدأ من الجيل الثاني للبشرية، وهو من كان على تلك السفينة الناجية من غرق العالم، لذا فإن بداية المحطات هي محطة نبي الله ورسوله وأول أولي العزم نوح عليه السلام.

(١) الكليني، محمد، الكافي، ج ١، ص ١٧٥.

النبى نوح ﷺ رسول المحطة الأولى

ما هو العنوان الأساس الذي أراد رسول الله نوح ﷺ أن يحققه في محطته الطويلة نسبةً إلى عمره كذلك؟

وبعبارة أخرى: في أي بيئة ثقافية عاش النبى نوح ﷺ، وما هي النقلة النوعية التي أراد أن يحدثها في ذلك المجتمع؟

إن القرآن الكريم يوضح لنا أن مجتمع النبى نوح ﷺ كان ينكر الاتصال بين الله تعالى والناس عبر رسول بشري، وبالتالي فإن تواصل ذلك المجتمع مع الله كان مقطوعاً. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ بِقُوَّةٍ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣﴾ فقال الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ٢٤﴾^(١).

وما يفهم من هذه الآية هو أن مشكلة قوم النبى نوح ﷺ لم تكن في الإيمان بالله تعالى، ولا في تقبل أصل التواصل بين الله عز وجل والإنسان، بل هي في كون الوسيط في هذا التواصل هو إنسان مثلم، فإن استكبارهم منعهم من هذا الإيمان، وهم يتشابهون في

(١) سورة المؤمنون، الآيتان ٢٣-٢٤.

قافلة البشرية من سفينة نوح إلى دولة المهدي ﷺ

موقفهم هذا مع إبليس الذي لم تكن مشكلته هي الإيمان بالله تعالى ولا بالسجود له، إنما كانت في السجود للإنسان الذي يرى إبليس نفسه بأنه أفضل منه.

وقد حاول النبي نوح ﷺ أن يوجد التواصل بين الناس وربهم عبر الرسول الإنسان، إلا أن المهتدين بدعوته كانوا قلة.

ويوضح القرآن الكريم أن الأمر قد وصل إلى حد اليأس من تدبير سائر الناس غير من سبق إيمانه، لذا أوحى الله تعالى إلى نوح ﷺ أن يصنع سفينة النجاة لتنقذ من عليها من الطوفان الأعظم. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦) وَأَصْنَعُ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَظَّطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿١﴾.

نعم، استطاع النبي نوح ﷺ أن يبني مجتمعاً يؤمن بالتواصل بين الله تعالى والناس عبر الرسول الإنسان، إلا أنه كان مجتمعاً يتناسب في حجمه مع سفينة الطوفان.

المحطة الأولى	
قائدها	النبي نوح ﷺ
عنوانها	إيجاد المجتمع المؤمن بالتواصل مع الله عبر الرسل

النبي إبراهيم عليه السلام رسول المحطة الثانية

انحرف العديد من المجتمعات البشرية بعد رسول الله نوح عليه السلام عن مسار العلاقة الصحيحة بالله تعالى، حتى وصلت إلى عبادة التماثيل، فبعث الله تعالى رسوله إبراهيم عليه السلام، لتكون له مهمة أساسية هي بناء مجتمع التوحيد المعتقد بأن المعبود ينحصر بالله الواحد.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ٥٢ ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٥٤ ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١﴾.

وقد استطاع نبي الله إبراهيم عليه السلام بناء مجتمع موحد مؤمن بالله تعالى نابذاً للتماثيل والأصنام، وقد تجلّى مجتمع التوحيد بأبناء خليل الله إبراهيم عليه السلام الذين استجاب الله تعالى فيهم دعوته التي حدثنا عنها القرآن الكريم بقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ

(١) سورة الأنبياء، الآيات ٥١-٥٦.

إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿١﴾ .

من هذه المحطة الإبراهيمية، ومن صلب النبي إبراهيم ﷺ نشأ أبناء الدين الحنيفي الموحد لله تعالى من أبناء إسماعيل ﷺ، كما نشأ مجتمع بني إسرائيل الموحد لله تعالى من أبناء إسحاق ﷺ، والذي عانى محناً وخطوباً أوصلته إلى حالة الاستعباد في عصر فرعون، ليرسل الله تعالى لهم نبياً يخلصهم من محنتهم، ويكون قائد المحطة الثالثة، وهو رسول الله موسى ﷺ.

المحطة الثانية	
النبى إبراهيم ﷺ	قائدها
بناء مجتمع التوحيد	عنوانها

(١) سورة إبراهيم، الآية ٣٥.

النبى موسى ﷺ رسول المحطة الثالثة

بعد العبور من محطة التواصل مع الله تعالى عبر الرسول الإنسان، إلى محطة مجتمع التوحيد، أراد الله تعالى أن يرقى المجتمع إلى محطة ثالثة بأن يتحوّل مجتمع التوحيد إلى مجتمع تشريعيّ يعيش أفرادَه في ضوء الشريعة الإلهية، وكان قائد هذه المحطة نبيّ الله موسى ﷺ.

من هنا نلاحظ التأكيد القرآنيّ على دور الكتاب والألواح والرسالات في محطة النبيّ موسى ﷺ، وهذا ما نقرؤه في الآيات الآتية:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾^(١).

﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾^(٢).

﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾^(٣).

﴿ وَكَتَبْنَاهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٤).

(١) سورة المؤمنون، الآية ٤٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٢.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٤٥.

﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي﴾^(١).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾^(٢).

من هنا نجد أنّ اليهود، رغم التحريف الذي دخل على كتبهم المقدّسة، فإنّ مجتمعهم يتميّز بالاهتمام بالجوانب التشريعيّة بين أفرادهم.

المحطة الثالثة	
النبّي موسى ﷺ	قائدها
بناء المجتمع التشريعيّ	عنوانها

(١) سورة الأعراف، الآية ١٤٤.

(٢) سورة هود، الآية ١١٠.

المحطة الرابعة بين النبيين عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم

بعد أن ارتقى المجتمع البشري من محطة الإيمان بالتواصل بين الله تعالى والناس عبر الرسول الإنسان، إلى محطة الاعتقاد بتوحيد الله تعالى، إلى محطة المجتمع التشريعي، فما هي المحطة التالية التي خطط الله تعالى لوصول المجتمع الإنساني إليها؟ إنها محطة الحكومة الإلهية العالمية، إلا أن السؤال: متى تتحقق هذه المحطة التي تعتبر خاتمة المحطات التي تصل قافلة الإنسانية فيها إلى أوج كمالها؟

يجيب القرآن عن هذا السؤال بقوله تعالى: ﴿أَتَّخِذُوا أَجْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُهُ لَا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣١) يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ (١).

قافلة البشرية من سفينة نوح إلى دولة المهدي

إنّ هذه الآيات تفيد أنّ هدف إرسال الله رسوله محمداً ﷺ هو إظهار الدين أي غلبته على كلّ الأديان، وبالتالي فإنّ شريعة هذا الدين ستحكم المجتمعات، وعندها تتحقّق الحكومة الإلهية الكبرى. لكن من الواضح أنّ هذه النبوءة لم تتحقّق في زمن خاتم الرسل محمد بن عبد الله ﷺ، وهذا يعني أنّ دين محمد ﷺ، وهو الإسلام، سيكون دين الحكومة الإلهية العالمية بغياب شخص النبي محمد ﷺ.

وهذا الأمر أكّده الرسول الأكرم ﷺ نفسه حينما تحدّث عن لا بدية وصول قافلة البشرية إلى كمالها، ولكن بعد حين، بقوله ﷺ: «لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله عزّ وجلّ ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي، فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(١).

إذاً، إنّ المحطّة الرابعة هي محمديّة الدين بقيادة الإمام المهديّ ﷺ، لكنّ السؤال يبقى عن دور النبي عيسى عليه السلام الذي هو الرسول الرابع من أولي العزم، والذي بحسب التسلسل المنطقي السابق، كان يفترض أن يكون هو قائد محطّة الحكومة الإلهية.

وما يعزّز هذا الافتراض أنّه ركّز دعوته وتبليغه وحركته الإصلاحية على المجتمع اليهودي أي مجتمع الشريعة الذي يعيش المحطّة الثالثة، إلّا أنّ أحبار اليهود منعه من النجاح في هذه

(١) الصدوق، محمد، كمال الدين وتمام النعمة، (لا، ط)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٥ هـ، ص ٣١٨.

الحركة، وحالوا بينه وبين الوصول إلى هدفه.

تُرى، هل كان سرُّ رفع الله تعالى لرسوله عيسى بن مريم عليه السلام هو أنّه لم يستكمل دوره في تحقيق المحطة الرابعة، وهي الحكومة الإلهية، لذا رفعه الله إليه لينزله في زمن قائد تلك المحطة، وهو الإمام المهدي عليه السلام، ليؤازره ويشاركه صناعة الحكومة الإلهية العالمية، كما أكّده النصوص الإسلامية التي منها ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «ينزل عيسى بن مريم عليه السلام... بيده حربة... يهلك الدجال، ويقبض أموال القائم، ويمشي خلفه أهل الكهف، وهو الوزير الأيمن للقائم وحاجبه ونائبه»^(١).

وبهذا تتحقّق الحكومة الإلهية الكبرى عبر حفيد ابراهيم عليه السلام الإسماعيلي، يؤازره حفيده الإسحاقّي.

ترى ما هي دخالة ذلك بوصف «باراقليط»^(٢)، الذي ترجم في اللغة العربية بـ «المعزي»، والذي ينطبق على النبي محمد صلى الله عليه وآله؟ فقد ورد في الإنجيل:

- «وأنا أطلب من الأب فيعطيكُم معزياً آخر؛ ليمكث معكم إلى الأبد»^(٣).
- «ومتى جاء المعزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحقّ الذي من عند الأب، فهو يشهد لي»^(٤).

(١) البحراني، هاشم، غاية المرام، تحقيق علي عاشور، (لاط)، (لا.ن)، (لا.ت)، ج٧، ص ٩٢.

(٢) الكتاب المقدس، العهد الجديد، ط٤، بيروت، المكتبة الشرقية، ١٩٨٦م، ص ٢٢٧، حاشية ١٦.

(٣) العهد الجديد والمزامير، (لاط)، بيروت، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ١٩٨٥م، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٤، فقرة ١٦.

(٤) العهد الجديد والمزامير، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٥، فقرة ٢٦.

- «لكنِّي أقول لكم الحقَّ إنَّه خير لكم أن أنطلق؛ لأنَّه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّي، ولكن إن ذهبت أرسله لكم»^(١).

ترى هل سرُّ كون النبيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، على فرض صحَّة ما تقدَّم، هو أنَّه يمثِّل المعزِّي والمسلِّي للنبيِّ عيسى ﷺ بكون الحكومة الإلهيَّة سوف تتحقَّق على يد حفيده الإمام المهدي ﷺ بموازرة النبيِّ عيسى ﷺ، وبهذا تكون التغذية للسيِّد المسيح؟!

الخلاصة

المحطَّات الرئيسيَّة لقافلة الإنسانيَّة	
الأوَّلَى	ربط الناس بالله عبر الرسول الإنسان
قائدها	نبيُّ الله نوح ﷺ
الثانيَّة	بناء المجتمع التوحيديّ
قائدها	نبيُّ الله إبراهيم ﷺ
الثالثة	بناء المجتمع التشريعيّ
قائدها	نبيُّ الله موسى ﷺ
الرابعة	إقامة الحكومة الإسلاميَّة الإلهيَّة
دينها	الإسلام المحمَّديّ
قائدها	حفيد النبيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ الإمام المهديّ ﷺ
وزير القائد	نبيُّ الله عيسى ﷺ

(١) المصدر السابق، الإصحاح ١٧، فقرة ٧.

الواعون لمسار القافلة الإنسانية

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾^(١).

اللافت في هذه الآية أمران:

الأمر الأول: أنه وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم الصديقون والشهداء عند ربهم، مع أن كل المسلمين يؤمنون بالله ورسله، فهل يعني هذا أن جميع المسلمين هم صديقون وشهداء؟
من الواضح أن هذا الأمر غير صحيح، لا سيما عند التأمل بمعنى «الصديق»، فإنه من تحقق فيه أمور ثلاثة هي:

- ١- أن يكون خبره مطابقاً للواقع.
 - ٢- أن يكون متيقناً بما يخبر عنه.
 - ٣- أن يكون فعله ملازماً لقوله، أي سرى الصدق في قوله وفعله، فيفعل ما يقول، ويقول ما يفعل^(٢).
- فهل كل المسلمين هم كذلك؟!؟

(١) سورة الحديد، الآية ١٩.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط٥، بيروت، الأعلمي، ١٩٨٣م، ج ١٩، ص ١٦٣.

الأمر الثاني: أن هذه الآية تحدّثت عن الإيمان بالله ورسله، كما هو في العديد من الآيات، إلى جانب آيات قرآنية أخرى عبّرت «**بالله ورسوله**» وهما الركنان اللذان يعتبر الإيمان بهما لتحقيق الهوية الإسلامية، ومن هذه الآيات:

- ١- ﴿ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١).
- ٢- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٢).
- ٣- ﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٣).
- ٤- ﴿فَعَاْمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ الَّذِيْٓ اَلْمُنَّيْ﴾^(٤).
- ٥- ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٥).
- ٦- ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ اَدْرٰكُمْ عَلٰٓى تَحَرُّفٍ تُنٰجِيْكُمْ مِّنْ عَذَابِ اِلٰهِمۡ ۖ تُوْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٦).

إن التأمّل بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِۦٓ اُولٰٓئِكَ هُمُ الصّٰدِقُوْنَ...﴾^(٧)، يفيد أنّه يشير إلى أنّ وصف الصديقين يعود لمن يؤمن بحركة الرسل التي، كما ذكرنا سابقاً، عرضها الله تعالى على أنّها حركة القافلة الإنسانية، وعليه فإنّ الإيمان بهذه الحركة والوعي بها هو الذي يمنح وسام الصديقين للمؤمنين بها، مع

(١) سورة النور، الآية ٦٢.

(٢) سورة النور، الآية ٦٢.

(٣) سورة الفتح، الآية ١٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٥٨.

(٥) سورة النساء، الآية ١٣٦.

(٦) سورة الصف، الآيتان ١٠-١١.

(٧) سورة الحديد، الآية ١٩.

ملاحظة أنّ معنى الصديقين يتضمّن أن يكون فعل هؤلاء المؤمنين الواعين منسجماً مع إيمانهم ووعيهم وهو ما نتحدّث عنه لاحقاً. وقبل ذلك نتعرّض لنكتة لافتة تدور حول بعض من منحهم القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأكرم ﷺ وسام الصديق.

الصدّيقة في القرآن الكريم

أطلق القرآن الكريم وصف الصدّيقة على السيّدة مريم بنت عمران عليها السلام ، قال الله تعالى: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۗ ﴾ ^(١).

إنّ وصف السيّدة الجليلة مريم عليها السلام بالصدّيقة يعني، بحسب ما تقدّم، أنها واعية لحركة قافلة البشرية في تاريخها ومستقبلها، وأنّ عملها متوافق مع هذا الوعي والإيمان.

والبارز في عمل السيّدة مريم عليها السلام هو تضحيّتها الكبيرة بحملها الإعجازيّ بنبيّ الله عيسى عليه السلام ، رغم التداعيات الحسّاسة التي تعرّضت لها عليها السلام في طعنها بأشرف ما يهمّ قديسة مثلها، لكن ما يهوّن الأمر عليها هو اعتقادها وإيمانها ووعيتها بقافلة الإنسانيّة التي سيكون فيها ولدها النبيّ عليه السلام وزيراً للإمام المهديّ عليه السلام في إقامة الحكومة الإلهيّة العالميّة التي هي هدف الأنبياء والمرسلين والأوصياء والأولياء عبر التاريخ.

أترى، هل إنّ ما أسكن نفسها هو ما حدّثها الملائكة بشخص

(١) سورة المائدة، الآية ٧٥.

الملك جبرئيل أن ولدها المسيح ﷺ سيكون له ذلك الدور العظيم في الحكومة الإلهية العالمية؟ وهذا ما يتواءم مع كونه وحيها في الدنيا كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (١).

أُتري، هل تتواءم البشارة مع الموقف الصعب الذي ستواجهه السيدة مريم ﷺ أمام قومها حينما يسألونها عن ولدها، وهي من دون زوج؟

أو أن البشارة تتواءم مع المستقبل الآتي الذي سيكون فيه ولدها وحيها في الدنيا لمساهمته في تحقيق الحكومة الإلهية، وبالتالي يكون وحيها في الآخرة أيضاً؟

(١) سورة آل عمران، الآية ٤٥.

الصدّيقة في أحاديث النبي ﷺ

اللافت في الأحاديث الواردة عن الرسول الأكرم ﷺ أنه أطلق مصطلح الصدّيقة على السيّدّة فاطمة الزهراء عليها السلام في قوله الوارد عنه عليه السلام: «**فاطمة هي الصدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى**»^(١)، وفي هذا إشارة إلى اعتقادها عليها السلام ووعيتها لمسار القافلة الإنسانية التي ستتوّج بقيادة حفيدها الإمام المهدي عليه السلام للحكومة الإلهيّة العالميّة، ولعلّ ارتباطها عليه السلام بدور حفيدها في تحقيق ما كان يرنو إليه الأنبياء والأولياء هو أحد أسرار دوران القرون الأولى على معرفتها، فالقرون الأولى مرتبطة بما ستؤول إليه قافلة الإنسانية في تحقيق الحكومة الكبرى، ولولا كون الزهراء أمّاً للأئمّة عليه السلام، ولولا دورها في حفظ الإسلام لما تحقّقت غاية الخلق في تلك الحكومة. والمثير للاهتمام هو الأمر المشترك في حياة كلٍّ من السيّدّة مريم عليها السلام والسيّدّة فاطمة عليها السلام، وهو حديث جبرئيل مع كلٍّ منهما، فعن الإمام الصادق عليه السلام في رواية معتبرة^(٢): «**إنّ فاطمة مكثت بعد**

(١) الكجوري، محمّد باقر، الخصائص الفاطميّة، ط١، انتشارات الشريف الرضي، (لام)، ١٣٨٠ش، ج١، ص ٢٢٣.

(٢) أنظر: بركات، أكرم، مصحف فاطمة، ط٦، بيروت، بيت السراج، ٢٠١٢م، ص ٦٨-٧١.

رسول الله ﷺ خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام^(١).

إن مناسبة نزول الملك جبرئيل على السيّد الزهراء عليها السلام في هذه الرواية هي تعزيتها وتسليتها بمناسبة رحيل أبيها النبي الأعظم ﷺ. لكن هل تتناسب التعزية والتسلية مع إخبارها بما سيحدث مع أولادها من مأساة؟ أ تكون تسليتها بإخبارها عن شهادة ولدها الحسن عليه السلام مسموماً، وشهادة ولدها الحسين عليه السلام مذبوحاً من الوريد إلى الوريد، وعن شهادة أحفادها ومعاناتهم الشديدة أم أنّ ما يهون كلّ هذه الخطوب هو إخبارها أنّ هذه التضحيات ستختتم بظهور حفيدها الإمام المهدي عليه السلام ليكون قائداً للحكومة الإلهية العالمية محققاً بها هدف الله من خلق الإنسان؟ وبالتالي فيكون ما أسكن السيّد الزهراء عليها السلام هو حديث جبرئيل عليه السلام عن دور حفيدها في تحقيق غاية الخلق، وهو مماثل لما قد يكون أسكن فؤاد مريم عليها السلام من حديثه حول دور ابنها في مؤازرة المهدي عليه السلام في تحقيق تلك الغاية.

(١) الكليني، محمد، الكافي، ج ١، ص ٢٤١. الصفار، محمد، بصائر الدرجات، (لاط)، طهران، منشورات الأعلمي، ١٤٠٤ هـ، ص ١٥٤-٥٠٣، حديث ٦٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٤١. ابن شهر آشوب، محمد، المناقب، (لاط)، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، ١٣٧٦ هـ، ج ٣، ص ٣٢٧ (أورده مختصراً).

الصدّيقون في كربلاء

في محرّم من العام ٦١ للهجرة وصل المخطّط الأمويّ لمحو الإسلام المحمّديّ الأصيل إلى مشارف التحقّق، ممّا استدعى من الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه أن ينهضوا بالثورة الاستشهاديّة التي لولاها لاندثر ذلك الإسلام، وبالتالي انتفت غاية الخلق من وصول قافلة البشريّة إلى كمالها المنشود. وقد تميّز أهل بيت الحسين عليه السلام وأصحابه ببصيرة عالية في معرفة دورهم في المحافظة على السير التكامليّ للإنسانيّة، وهم الذين وُصفوا بـ «أهل البصائر»^(١) أي النخبة الواعية من الأمّة، وبذلك كانوا من الصدّيقين الواعين للمخطّط الإلهيّ، لذا أخبرهم الإمام الحسين عليه السلام بالمكافأة بكرامة إلهيّة هي أنّ الله تعالى سيخرجهم في زمن تلك الحكومة؛ ليروا بأعينهم تحقّق تلك الغاية التي يستشهدون لأجلها، وقد أخبرهم الإمام الحسين عليه السلام بهذه المكافأة في ليلة العاشر من المحرّم كما حدّثنا بذلك الإمام الباقر عليه السلام فيما ورد عنه عليه السلام بأنّ الإمام الحسين عليه السلام قال لهم في تلك الليلة:

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٩. (أنظر لمعرفة معنى البصائر: بركات، أكرم، كيف نبني مجتمعاً أرقى، ط ١، بيروت، بيت السراج، ٢٠١٢م، ص ٩٨-١٠٢).

«أبشروا بالجنة، فوالله، إنّا نمكث ما شاء الله بعد ما يجري علينا، ثم يخرجنا الله وإياكم حتى يظهر قائمنا، فينتقم من الظالمين، وأنا وأنتم نشاهدهم في السلاسل والأغلال وأنواع العذاب». فقيل له: من قائمكم يا بن رسول الله ؟ قال ﷺ: «السابع من ولد ابني محمد بن علي الباقر ﷺ، وهو الحجة ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابني، وهو الذي يغيب مدة طويلة، ثم يظهر ويملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(١).

إنّ حديث عن الرجعة التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(٢)، فالآية الكريمة تتحدّث عن حشر خاص يختلف عن حشر يوم القيامة الذي هو حشر عام عبّر الله تعالى عنه بقوله عزّ وجل: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٣).

وقد ورد في الرجعة أحاديث عديدة أحصاها العلامة المجلسي بما يقترب من مئتي حديث صريح رواها نيف وأربعون من الثقة العظام، والعلماء الأعلام في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم في ذلك العصر^(٤).

(١) الطبرسي، حسين، النجم الثاقب، ط١، قم، أنوار الهدى، ١٤١٥هـ، ج١٠، ص ٥١١.

(٢) سورة النمل، الآية ٨٢.

(٣) سورة الكهف، الآية ٤٧.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٥٣، ص ١٢١.

ولعلَّ سرَّ رجعة البعض من أهل الإيمان هو لكونهم صديقين واعين للمخطّط الإلهي، وقد يكون وعيهم اقتضى أن يقدّموا أنفسهم في سبيل الله في مسار ذلك المخطّط، فأراد الله أن يكافئهم بأن يريهم الحكومة الإلهية بأمّ أعينهم بوساطة إرجاعهم في عصر الإمام المهدي عليه السلام.

المخطط الإلهي وسرُّ العلاقة بالنبي ﷺ وأهل بيته ﺍﻟﻌﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ

إنَّ الوعي للتقدير الإلهي، ودور النبي ﷺ وأهل بيته ﺍﻟﻌﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ في الحفاظ على الإسلام المحمّديّ الأصيل الذي من خلاله ستتحقّق الحكومة الإلهيّة الكبرى التي هي هدف الأنبياء يعرفنا سرًّا من أسرار علاقة الأنبياء بالنبي ﷺ وأهل بيته ﺍﻟﻌﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ من خلال التوسّل بهم والبكاء عليهم، وإظهار مودّتهم، ونحو ذلك؛ لما لهم من دور في تحقيق هدفهم الأعلى المتعلّق بغاية الخلق، وهذا ما نقرّؤه في أحاديث عديدة منها:

١- انجذاب الأنبياء ﺍﻟﻌﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ للرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته ﺍﻟﻌﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ

نبيّ الله نوح ﺍﻟﻌﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ

عن الرسول الأكرم ﷺ: «لَمَّا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَهْلِكَ قَوْمُ نُوحٍ ... ضَرَبَ [أي نوح ﺍﻟﻌﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ] بِيَدِهِ إِلَى مَسْمَارٍ، فَأَشْرَقَ بِيَدِهِ، وَأَضَاءَ كَمَا يَضِيءُ الْكَوْكَبُ الدَّرِّيُّ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، فَتَحَيَّرَ نُوحٌ ﺍﻟﻌﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ، فَأَنْطَقَ اللهُ الْمَسْمَارُ بِلِسَانٍ طَلَقَ ذَلِكُ، فَقَالَ: أَنَا عَلَى اسْمِ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ. فَهَبَطَ جِبْرِئِيلُ ﺍﻟﻌﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ، فَقَالَ لَهُ: يَا جِبْرِئِيلُ، مَا

قافلة البشرية من سفينة نوح إلى دولة المهدي

هذا المسمار الذي ما رأيت مثله؟ فقال: هذا باسم سيّد الأنبياء محمد ابن عبد الله ﷺ، أسمره على أوّلها على جانب السفينة الأيمن. ثمّ ضرب بيده إلى مسمار ثانٍ، فأشرق وأنار، فقال [نوح]: وما هذا المسمار؟ فقال: هذا مسمار أخيه وابن عمّه سيّد الأوصياء عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، فأسمره على جانب السفينة الأيسر في أوّلها، ثمّ ضرب بيده إلى مسمار ثالثٍ فزهر وأشرق وأنار، فقال جبرئيل عليه السلام: هذا مسمار فاطمة عليها السلام، فأسمره إلى جانب [مسمار] أبيها، ثمّ ضرب بيده إلى مسمار رابع، فزهر وأنار، فقال جبرئيل عليه السلام: هذا مسمار الحسن، فأسمره إلى جانب مسمار أبيه، ثمّ ضرب بيده إلى مسمار خامس، فزهر وأنار وأظهر الندوة، فقال جبرئيل عليه السلام: هذا مسمار الحسين عليه السلام^(١).

نبيّ الله إبراهيم عليه السلام

عن الإمام الرضا عليه السلام في حديثه عن خليل الله إبراهيم عليه السلام بعد ابتلائه بذبح ولده: «فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم، من أحبّ خلقي إليك؟ فقال عليه السلام: يا ربّ، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمد ﷺ، فأوحى الله إليه: أفهو أحبّ إليك أم نفسك؟ قال عليه السلام: بل هو أحبّ إليّ من نفسي. قال: فولده أحبّ إليك أم ولدك؟ قال عليه السلام: بل ولده. قال: بذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال

(١) البحرانيّ، عبد الله، العوالم، الإمام الحسين عليه السلام، محمد باقر الأبطحي الأصفهانيّ، ط١، قم، مدرسة الإمام المهدي ﷺ، ١٤٠٧هـ، ص ١٠٥.

ﷺ: يا رب، بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي. قال: يا إبراهيم، فإن طائفة تزعم أنها من أمة محمد ﷺ ستقتل الحسين ﷺ ابنه من بعده ظلماً وعدواناً، كما يذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي. فجزع إبراهيم ﷺ لذلك، وتوجّع قلبه، وأقبل يبكي، فأوحى الله عز وجل: يا إبراهيم، قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل ﷺ - لو ذبحته بيدك - بجزعك على الحسين ﷺ، وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ﴾^(١)،^(٢).

نبي الله موسى ﷺ

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ قال الله عز وجل: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾^(٣): «واذكروا يا بني إسرائيل، إذ استسقى موسى ﷺ لقومه، طلب لهم السقيا، لما لحقهم العطش في التيه، وضجوا بالبكاء إلى موسى ﷺ، وقالوا: أهلكنا العطش. فقال موسى ﷺ: اللهم بحق محمد ﷺ سيد الأنبياء، وبحق علي ﷺ سيد الأوصياء، وبحق فاطمة ﷺ سيّدة النساء، وبحق الحسن ﷺ سيّد الأولياء، وبحق الحسين ﷺ سيّد الشهداء، وبحق عترتهم وخلفائهم سادة الأزكياء

(١) سورة الصافات، الآية ١٠٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٢٦.

(٣) سورة البقرة، الآية ٦٠.

لما سقيت عبادك هؤلاء. فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى، ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾^(١)، فضربه بها ﴿فَأَنفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَسْلًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾^(٢) - كل قبيلة من بني أب من أولاد يعقوب - مشربهم)، فلا يزاحم الآخرين في مشربهم»^(٣).

نبي الله عيسى عليه السلام

قال الشيخ الصدوق (ره): «ومن أعجب العجائب أن مخالفتنا يروون أن عيسى بن مريم عليه السلام مر بأرض كربلاء، فرأى عدة من الأطباء هناك مجتمعة، فأقبلت إليه، وهي تبكي، وأنه جلس وجلس الحواريون، فبكى، وبكى الحواريون، وهم لا يدرون لم جلس، ولم بكى، فقالوا: يا روح الله وكلمته، ما يبكيك؟ قال عليه السلام: أتعلمون أي أرض هذه؟ قالوا: لا، قال عليه السلام: هذه أرض يقتل فيها فرخ الرسول أحمد ﷺ، وفرخ الحرّة الطاهرة البتول شبيهة أُمِّي، ويلحد فيها، هي أطيب من المسك؛ لأنها طينة الفرخ المستشهد، وهكذا تكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء، وهذه الأطباء تكلمني وتقول: إنها ترعى في هذه الأرض شوقاً إلى تربة الفرخ المستشهد المبارك، وزعمت أنها آمنة في هذه الأرض». ثم ضرب بيده إلى بحر تلك الأطباء، فشمها فقال عليه السلام: «اللهم أبقها أبداً حتى يشمها أبوه، فيكون له عزاء وسلوة»^(٤).

(١) سورة البقرة، الآية ٦٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ٦٠.

(٣) تفسير الإمام العسكري، ص ٢٦١.

(٤) الصدوق، محمد، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٥٢١-٥٢٢.

العقبات في مسار الحكومة الكبرى

عبر الله تعالى عن الطريق الذي يوصل إليه بمصطلحين هما الصراط المستقيم وسبيل الله.

الصراط المستقيم

فمن الآيات التي ذكرت الصراط قوله تعالى:

- ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١).
- ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٢).
- ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣).
- ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾^(٤).
- ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥).
- ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٦).
- ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٧).

(١) سورة الفاتحة، الآية ٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٥١.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٠١.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٢٦.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٤٢.

(٦) سورة يس، الآية ٦١.

(٧) سورة الشورى، الآية ٥٢.

سبيل الله

ومن الآيات التي ذكرت سبيل الله قوله تعالى:

- ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١).
 - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾^(٢).
 - ﴿وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٣).
 - ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾^(٤).
 - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٥).
 - ﴿وَأُودُوا فِي سَبِيلِ﴾^(٦).
 - ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾^(٧).
- ومما لا شك فيه أن مسار الحكومة الإلهية هو صراط مستقيم، وسبيل لله تعالى، وبالتالي فإن من يصد عن سبيل الله وصراطه يشكل عقبة تصد عن مسار تلك الحكومة.
- بناءً عليه، فإن ما عرضه القرآن الكريم بعنوانه صاذاً عن

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦١.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٥٧.

(٤) سورة النساء، الآية ١٠٠.

(٥) سورة الأنفال، الآية ٧٢.

(٦) سورة آل عمران، الآية ١٩٥.

(٧) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

صراط الله وسبيله يكون بالتأكيد عقبة في مسار الحكمة الإلهية الكبرى.

من هنا نذكر ما عرضه القرآن الكريم من أشخاص وفئات بعنوان كونهم صادين عن سبيل الله أو صراطه، وهم:

١- الشيطان

قال تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾^(٢).

إنَّ صدَّ الشيطان عن سبيل الله يكون من خلال التأثير في صور الأشياء في أذهان الناس، فهو يحاول جاهداً أن يريهم معاصي الله تعالى جميلة، وطاعاته خالية من الجمال، وهذا هو معنى تزيين الأعمال القبيحة التي من خلالها يصدَّ عباد الله عن سبيله.

٢- المنافقون

قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ^(٢).

أيمانهم جمع يمين، وهو الحلف والقسم، وجُنَّة أي الستر الذي يتَّقى به كالترس. والمعنى أنَّ هؤلاء المنافقين اتخذوا أيمانهم الكاذبة التي يحلفون بها وقاية لأنفسهم، وستراً لمؤامراتهم،

(١) سورة الأعراف، الآية ١٦.

(٢) سورة النمل، الآية ٢٤.

(٣) سورة المنافقين، الآيتان ١-٢.

قافلة البشرية من سفينة نوح إلى دولة المهدي

فصرفوا النفوس عن دين الله بما يستطيعون من الصرف، بتقليب الأمور وتشبيط العزائم، لمنع الناس من دخول دين الله تعالى^(١).

٣- اليهود

﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢).

في زمن الرسول

حاول اليهود صدّ الناس عن دعوة رسول الله ﷺ بأساليب عديدة منها:

١- طرح الأسئلة التعجيزية على النبي ﷺ. قال الله تعالى:

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرًا مِّنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(٣).

٢- تشكيك البسطاء من الناس بالإسلام. قال الله تعالى: ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾^(٤).

٣- تحريض أعداء الإسلام ضدّ المسلمين، ومساعدتهم بشتى الوسائل كالتجسس ونحوه.

٤- إثارة الفتن وإعداد المؤامرات التي نتج عنها:

I- غزوة بني قينقاع.

(١) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج ١٩، ص ١٩٣ و ٢٧٩. مغنية، محمد جواد،

التفسير الكاشف، ط ٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧ م، ج ٧، ص ٢٧٤.

(٢) سورة النساء، الآية ١٦٠.

(٣) سورة النساء، الآية ١٥٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٠٠.

II- غزوة بني النضير.

III- غزوة بني قريظة.

IV- معركة خيبر.

إضافة إلى دورهم في معركة الخندق.

٥- نقضهم للعهد والمواثيق التي أبرموها مع النبي ﷺ في المدينة. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ (١).

٦- محاولة اغتيال الرسول محمد ﷺ، مرةً من قبل بني النضير (٢)، ومرةً في خيبر عبر السم، فقد روى البيهقي عن ابن شهاب: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا افْتَتَحَ خَيْبَرَ، وَقَتَلَ مِنْ قَتْلٍ، وَاطْمَأَنَّ النَّاسُ، أَهْدَتْ زَيْنَبُ ابْنَةُ الْحَارِثِ، امْرَأَةً سَلامَ بْنِ مَشْكَمٍ، وَهِيَ ابْنَةُ أَخِي مَرْحَبٍ، لَصْفِيَّةَ امْرَأَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَاةَ مَصْلِيَّةٍ، وَقَدْ سَأَلَتْ: أَيُّ عَضْوِ الشَّاةِ أَحَبُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقِيلَ لَهَا: الذَّرَاعُ، فَأَكْثَرَتْ فِيهَا مِنَ السَّمِّ، ثُمَّ سَمَّيَتْ سَائِرَ الشَّاةِ» (٣).

بعد زمن الرسول ﷺ

لم تقتصر محاولات اليهود في الصدّ عن سبيل الله، لا سيّما المتعلّق بالحكومة الإسلاميّة، على حياته صلّى الله عليه وآله، بل

(١) سورة الأنفال، الآية ٥٦.

(٢) مرتضى، جعفر، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ط٤، بيروت، دار الهادي، ١٤١٥هـ، ج٨، ص ٤٠-٥٠.

(٣) أنظر: المرجع نفسه، ص ١٤٧، ١٥٤.

استمرّت المحاولات في ذلك بعد رحيله. ومن باب المثال نعرض، بشكل موجز، الدور البارز لكعب الأحبار اليهودي الذي كان يسكن في اليمن في الزمن الذي كان يسكنها معاوية بن أبي سفيان.

واللافت أنّ كعباً أعلن إسلامه عام ١٧ للهجرة بعد فتح الشام وتنصيب معاوية بن أبي سفيان والياً عليها^(١)، كما أنّ اللافت في تأريخ كعب الأحبار هو مدى الساحة الواسعة التي قُتحت له في أكثر من بلد إسلامي، ففي المدينة المنورة سمح له «**الخليفة الثاني**» أن يلقي القصص في المسجد النبوي المبارك، وفي الشام بالغ معاوية في الترويج له، فكان يقول: ألا إنّ كعب الأحبار أحد العلماء، إن كان عنده لعلم كالنمار^(٢)، وإن كنّا فيه لمفرطين^(٣).

وقد وصل الأمر بمعاوية إلى أنّه رفض شهادة عبد الله ابن عباس فيما يخصّ قراءة آيات من القرآن الكريم، وأرسل يسأل كعباً عنها^(٤).

وقد انتشرت في زمن كعب الأحبار ما بات يعرف بالروايات الإسرائيلية انتشاراً واسعاً^(٥).

والباحث في تاريخ المسلمين يلاحظ دور اليهود البارز في صدّ

(١) قيل غير ذلك إلا أنّ كون إسلامه في عهد عمر بن الخطّاب هو الأشهر [أنظر: العيني، عمدة القارئ، ج ٢٥، ص ٧٤].

(٢) في بعض النصوص «كالبحار» [أنظر: العيني، عمدة القارئ، (لا، ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (لا، ت)، ج ٢٥، ص ٧٤].

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، (لا، ط)، بيروت، دار صادر، (لا، ت)، ج ٢، ص ٣٥٨.

(٤) أنظر: الطائي، نجاح، نظريات الخلفيتين، (لا، ط)، (لا، م)، (لا، ن)، (لا، ت)، ج ٢، ص ٣٢٤.

(٥) أنظر: المرجع السابق، ص ٣١٩.

الناس عن سبيل الله عبر الوسائل المختلفة. وهذا ما نلاحظه واضحاً في بروتوكولات حكماء بني صهيون التي فيها ما يعبر عن ذلك بوضوح، من قبيل ما هذا نصّه:

- «لكي تبقى الجماهير في ضلال، لا تدري ما وراءها وما أمامها، ولا ما يُراد بها، فإننا سنعمل على زيادة صرف أذهانها بإنشاء وسائل المباحج، والمسليات، والألعاب الفكهة، وضروب أشكال الرياضة، واللهو، وما به الغذاء لملذاتها وشهواتها... والإكثار من القصور المزوّقة، والمباني المزركشة، ثمّ نجعل الصحف تدعو إلى مباريات فنية رياضية، ومن كلّ جنس، فتتوجّه أذهانها إلى هذه الأمور وتنصرف عمّا هيّأناه، فنمضي به إلى حيث نريد»^(١).

- «لا بدّ من تحطيم الأسرة غير اليهودية»^(٢).

- «علينا أن نسهلّ زيادة نقائص الشعب وفساد عاداته ورغباته، فيقع الشقاق بين الأحزاب، وتتفرّق كافّة قوى الخوارج المجتمعة ضدّنا، وتثبّط كلّ العزائم، وتتوفّر لنا أسباب الغلبة على ملايين الرجال ممّن بثّينا فيهم روح الشقاق»^(٣).

(١) نويهض، عجاج، بروتوكولات، حكماء صهيون، (لاط)، دمشق، طلاس، ١٩٨٩م، المجلّد الأول، ص ٢٤١.

(٢) اليهودية العالمية، ص ١٠٦.

(٣) المرجع السابق نفسه.

عقبات أخرى

إنَّ العقبات في قبال مسار الحكومة الإلهية الكبرى لا تقتصر على المنافقين واليهود من الناس، بل تشمل كلَّ من يكون نتاج عمله تشويه الإسلام، وإبعاد الناس عنه، وإضعاف إيمان المؤمنين به، وما شابه هذا، ومن أمثلة هؤلاء التكفيريين الديمويون الذين شوَّهوا ويشوِّهون صورة الإسلام بتقطيع الرؤوس، وشيِّها على النار، وأكل الأكباد، ونبش القبور، إلى غير ذلك من الممارسات الفضيعة التي قلَّما عهدها العالم، ولا يخفى مدى فعالية هذه الأمور في تشويه الإسلام، وإبعاد الناس عنه.

أهمية معرفة المخطط الإلهي وعقباته

إنّ معرفة المخطّط الإلهي لمسار قافلة البشريّة لها فوائد عديدة، منها:

١- قراءة حركة التاريخ والمستقبل الإنسانيين بالشكل المنهجيّ الصحيح، وبالتالي فإنّ وعي القارئ للقرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وكذا أحداث الماضي والحاضر والمستقبل يختلف بين كونه يربط كلّ ذلك بمنهجية متجانسة متسلسلة، وبين كونه يقرؤها قطعاً متفرقة لا تجانس بينها.

٢- إنّ معرفة ذلك المخطّط والمسار وعقباته تنتج الوعي للدور المطلوب في ضوء تلك القراءة.

وأنطلق في توضيح هذه الفائدة من حادثة لافتة حصلت مع بعض قادة المقاومة الإسلاميّة في لبنان في لقاءهم بالمرجع الدينيّ آية الله العظمى الآراكيّ الذي كان عمره أكثر من مئة عام، فهو بادر أولئك القادة بعد ما عرفوا عن أنفسهم بقوله: «لقد أنعم الله عليكم بنعمة لا تعرفونها»، فنظر بعضهم إلى بعض متعجّبين من هذا الكلام، متسائلين عن المراد من تلك النعمة، ولم يُطل المرجع الدينيّ حتّى أوضح لهم مقصوده منها بقوله: «لقد أتى الله

تعالى بكم من مئات السنين؛ ليسكنكم في لبنان، ثم بعد ذلك بمئات السنين أتى بأعداء الله اليهود الصهاينة ليحتلوا فلسطين، ليكون لكم بعد ذلك شرف قتال أعدى أعداء الله تعالى».

إنَّه حديث عن نعمة البيئة الجغرافية الخاصة التي تميَّز بها مجاهدو المقاومة الإسلامية، وعن الدور الكبير الذي اختصَّ به الله تعالى هذه المقاومة ومن آزرها، وهو إزالة عقبة أساسية من أمام مشروع إقامة الحكومة الإلهية الكبرى. وهكذا الحال بالنسبة إلى الجهاد مع العقبات الأخرى الصادرة عن سبيل الله كالتقوى التكفيرية الدموية التي تحدثنا عنها سابقاً.

٣- إنَّ معرفة المخطَّط الإلهي والسير في الدور المطلوب على أساسه توضح للإنسان القيمة الكبرى لعمله في دائرة ذلك الدور، مهما كانت وظيفته فيه، فالله تعالى جعل سرَّ خلق الموت والحياة هو العمل الأحسن في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(١).

والعمل الأحسن هو الذي يتحقق فيه ثلاث خصوصيات:

١- أن يركّز على العقيدة السليمة.

قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٢).^(٣)

(١) سورة الملك، الآية ٢.

(٢) سورة فاطر، الآية ١٠.

(٣) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج ٢، ص ٣٧.

٢- أن ينطلق من نيّة خالصة لله تعالى

عن الرسول الأكرم ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هَجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(١).

٣- أن يصب في الموقع الأفضل، وهو بحسب ما يفهم من النصوص الدينية يتحقّق بخدمة الناس.

قال الإمام الخميني قَدْ رَضِيَ عَنْهُ: «لَا أَعْلَمُ عَمَلًا هُوَ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خِدْمَةِ النَّاسِ».

وممّا يشهد لهذا ما ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: «الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ، فَأَحِبَّهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْفَعَهُمْ لِعِيَالِهِ»^(٢).

وكلّما اتّسعت خدمة الناس كلّما سمت قيمة عمل الإنسان، لذا فحينما أراد الله تعالى أن يكافئ خليفه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد نجاحه بالابتلاءات العظيمة، فإنّ الجائزة كانت إمامته للناس أي الموقع الأعلى لخدمة الدائرة الكاملة في وسعها لجميع الناس، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ﴾^(٣).
بناءً على ما تقدّم، فإنّ العامل في سبيل إقامة الحكومة الإلهية

(١) البروجرديّ، حسين، جامع أحاديث الشيعة، (لا،ط)، قم، (لا،ن)، ١٤٠٩ هـ، ج ١، ص ٣٥٩.

(٢) الحرّ العامليّ، زين الدين، وسائل الشيعة، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط ٢، قم، ١٤١٤ هـ، ج ١٦، ص ٣٤٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

قافلة البشريّة من سفينة نوح إلى دولة المهديّ ﷺ

الكبرى عبر السعي في إزالة العقبات من أمامها هو عامل للدائرة الأوسع، وبالتالي فإنّ عمله يدخل في أفضل الأعمال.

٤- إنّ معرفة المخطّط والمسار الإلهيّ لقافلة البشريّة الذي أراد الله تعالى له أن يتحقّق باختيار الناس، وإنّ تحديد الدور في ضوء ذلك المخطّط، والالتفات إلى عظيم العمل في دائرة ذلك الدور، كلّ ذلك يدعو إلى المثابرة والجدّ في أمرين أساسيين:

الأوّل: السعي لإزالة العقبات كما تقدّم.

الثاني: تقديم النموذج الجاذب المستقطب للناس ليسيروا في السبيل الذي يحقّقون فيه كمال الفرد، وكمال قافلة البشريّة؛ ليكونوا من الممهّدين لقيام حكومة الله في أرضه على يد صاحب العصر والزمان ﷺ.

والحمد لله ربّ العالمين

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

أ

ابن شهر آشوب، محمد:

١. المناقب، (لا،ط)، النجف الأشرف، المكتبة الحيدريّة، ١٣٧٦هـ.

ابن سعد، محمد:

٢. الطبقات الكبرى، (لا،ط)، بيروت، دار صادر، (لا،ت).

ابن منظور، محمد:

٣. لسان العرب، (لا،ط)، بيروت، دار صادر، (لا،ت).

ب

البروجرديّ، حسين:

٤. جامع أحاديث الشيعة، (لا،ط)، قم، (لا،ن)، ١٤٠٩هـ.

بركات، أكرم:

٥. مصحف فاطمة، ط٦، بيروت، بيت السراج، ٢٠١٢م.

٦. كيف نبني مجتمعاً أرقى، ط١، بيروت، بيت السراج،

٢٠١٢م.

البحراني، عبد الله:

٧. العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام)، محمد باقر الأبطحي الأصفهاني، ط ١، قم، مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)، ١٤٠٧ هـ.
٨. البحراني، هاشم: غاية المرام، تحقيق علي عاشور، (لا، ط)، (لا، ن)، (لا، ت).

ح

الحرّ العاملي، محمد حسن:

٩. وسائل الشيعة، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط ٢، قم، ١٤١٤ هـ.
١٠. الفصول المهمة في أصول الأئمة، تحقيق محمد بن حسين القائيني، ط ١، قم، مؤسسة معارف إسلامي، ١٤١٨ هـ.

خ

الخميني، روح الله:

١١. منهجية الثورة الإسلامية، إعداد ونشر مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، ط ٢، طهران، ٢٠٠٦ م.

ص

الصدوق، محمد:

١٢. الخصال، تحقيق علي الغفاري، (لا، ط)، قم، جماعة المدرسين، ١٤٠٣ هـ.
١٣. كمال الدين وتمام النعمة، (لا، ط)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٥ هـ.

١٤. معاني الأخبار، تحقيق عليّ أكبر الغفاريّ، (لا، ط)، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٣٧٩هـ.

الصفار، محمّد:

١٥. بصائر الدرجات، (لا، ط)، طهران، منشورات الأعلميّ، ١٤٠٤هـ.

ط

الطبرسيّ، حسين:

١٦. النجم الثاقب، ط١، قم، أنوار الهدى، ١٤١٥هـ.

الطائيّ، نجاح:

١٧. نظريات الخليفتين، (لا، ط)، (لا، م)، (لا، ن)، (لا، ت).

ع

العهد الجديد والمزامير:

١٨. (لا، ط)، بيروت، دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط، ١٩٨٥م.

٢٠. العينيّ:

١٩. عمدة القارئ، (لا، ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، (لا، ت).

الطباطبائيّ، محمّد حسين:

٢٠. الميزان في تفسير القرآن، ط٥، بيروت، الأعلمي، ١٩٨٣م.

ك

٢١. الكتاب المقدّس، العهد الجديد، ط٤، بيروت، المكتبة الشرقيّة، ١٩٨٦م.

الكجوري، محمد باقر:

٢٢. الخصائص الفاطمية، ط١، انتشارات الشريف الرضي،
(لا، م)، ١٣٨٠ ش.

الكليني، محمد:

٢٣. الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط٤، طهران، دار الكتب
الإسلامية، ١٣٦٥ هـ.

م

المجلسي، محمد باقر:

٢٤. بحار الأنوار، تصحيح محمد مهدي الخرساني، (لا، ط)،
طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٦ هـ.

٢٥. مرتضى، جعفر: الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ط٤،
بيروت، دار الهادي، ١٤١٥ هـ.

المفيد، محمد:

٢٦. المزار، تحقيق محمد باقر الأباضي، ط٢، بيروت، دار
المفيد، ١٤١٤ هـ.

مغنية، محمد جواد:

التفسير الكاشف، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧ م.

ن

نويهض، عجاج:

بروتوكولات، حكماء صهيون، (لا، ط)، دمشق، طلاس، ١٩٨٩ م.

الفهرس

٥	المقدمة
٧	سرّ الخلق
٧	لماذا خلق الله العالم؟
١١	هداة الكمال
١١	الأنبياء
١٢	الأهداف المشتركة للأنبياء ﷺ
١٣	الرسل
١٣	أولو العزم
١٤	سرّ أولي العزم
١٧	النبيّ نوح ﷺ رسول المحطة الأولى
١٩	النبيّ إبراهيم ﷺ رسول المحطة الثانية
٢١	النبيّ موسى ﷺ رسول المحطة الثالثة
٢٣	المحطة الرابعة بين النبيين عيسى ﷺ ومحمد ﷺ
٢٧	الواعون لمسار القافلة الإنسانية
٣١	الصدّيقة في القرآن الكريم

- ٣٣ الصّدِّيقَة في أحاديث النّبي ﷺ
- ٣٥ الصّدِّيقون في كربلاء
- ٣٩ المخطّط الإلهي وسرّ العلاقة بالنّبي ﷺ وأهل بيته ﷺ
- ١ - انجذاب الأنبياء ﷺ للرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته
- ٣٩ ﷺ
- ٣٩ نبيّ الله نوح ﷺ
- ٤٠ نبيّ الله إبراهيم ﷺ
- ٤١ نبيّ الله موسى ﷺ
- ٤٢ نبيّ الله عيسى ﷺ
- ٤٣ العقبات في مسار الحكومة الكبرى
- ٤٣ الصراط المستقيم
- ٤٤ سبيل الله
- ٤٦ في زمن الرسول ﷺ
- ٤٧ بعد زمن الرسول ﷺ
- ٥٠ عقبات أخرى
- ٥١ أهميّة معرفة المخطّط الإلهي وعقباته
- ٥٥ فهرس المصادر والمراجع
- ٦١ صدر للمؤلف



صدر للمؤلف

١. حقيقة الجفر عند الشيعة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.
٢. حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. حائز على جائزة أفضل كتاب لعام ٢٠٠٣م، في مهرجان الولاية الدولي في إيران.
٣. ولاية الفقيه، بين البداهة والاختلاف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. رسالة ماجستير حازت على درجة ممتاز، مع التتويه والتوصية بالنشر.
٤. دروس في علم الدراية، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. معتمد في المناهج الدراسية الحوزويّة.
٥. ميزان السير والسلوك، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.
٦. كيف تجعل ولدك صالحاً؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.
٧. كيف ترجع كما ولدتك أمك؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٨. لماذا نقلد؟ كيف؟ ومن؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية (مركز نون للطبع والترجمة):

Why do we imitate? how? and whom?

Pourquoi imiter? (suivre un concept) Comment? Et Qui?

٩. وليالٍ عشر (من وحي عاشوراء)، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٠. نداء الرحيل (الموت والبرزخ)، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

١١. دليل العروسين بين الخطوبة والزفاف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية:

Bride&BridegroomManualFromEngagementtoMarriage

١٢. برقية الحسين عليه السلام، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٣. ٣ حقوق لحياة زوجية ناجحة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٤. سعادة الزوجين في ٣ كلمات، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٥. هكذا تكون سعيداً، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٦. وأتمناها بعشر (من وحي عاشوراء)، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٧. المسائل المصطفاة في أحكام الطهارة والصلاة فوز، دو ايغواسو.

١٨. أحكام النساء. فوز دو ايغواسو.

١٩. التبليغ من وحي التجربة، قم.

٢٠. Paulo em busca da verdade (»باولو« الباحث عن الحقيقة - باللغة البرتغالية).

٢١. ISLAM NO ORACAO A«Assalat» (الصلاة في الإسلام باللغة البرتغالية).

٢٢. خيوط القبة، بيروت، دار الصفوة.

٢٣. حائك القبة (الإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين)، بيروت، دار الصفوة.

٢٤. شهر الله آدابه - مناسباته - أولياؤه، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٥. يسألونك عن الله، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية: They ask you about Allah

٢٦. يسألونك عن الأنبياء ﷺ، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

قافلة البشرية من سفينة نوح إلى دولة المهدي ﷺ

٢٧. يسألونك عن الأئمة عليهم السلام، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٨. يسألونك عن الولي، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٩. كيف نبني مجتمعاً أرقى؟

٣٠. كيف نتواصل مع الناس؟

٣١. قافلة البشرية، من سفينة نوح إلى دولة المهدي ﷺ (بين يدي القارئ)

يمكنك تصفح جميع هذه الكتب وغيرها على موقع سراج القائم ﷺ

www.sirajalqaem.com

إن أردت أنْ تعرف :

كيف ستنهى البشرية في الدنيا ؟

هل ستكون نزيهاً مشرقة أو مظلمة ؟

هل هي سير نحو التكامل أو السافل ؟

ما دور الأنبياء في تكامل قافلة البشرية ؟

ما علاقة التكامل الانساني بوصف الصديقين ؟

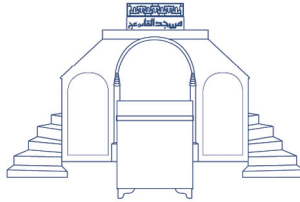
هل هو لشراكة بين النبيين عيسى ومحمد ؟

ما هو موقعنا في سیر قافلة البشرية ؟

ما هو دورنا في هذا المسير ؟

ماقرأ هذا الكتاب

أكرم



سلسلة على منبر القارئ

بيت السراج
للثقافة والنشر



e-mail: akrambarakat@sirajalqaem.com

www.sirajalqaem.com

tel: +961 71055510